البريطاني والمشاريع الحكومية العامة . وقد وصلت هذه القطاعات العمالية الى اكبر توسع لها في فترة الحرب الكونية الثانية(٧٤). ان هذا التوسع ، وبتأثيره النوعي ، وبفعل ازدياد الاضطرابات والازمات السياسية ، قد عكس ازدياد اهمية دور ونفوذ الطبقة العاملة السياسي بصورة تصاعدية كانت احداث ثورة ١٩٣٦ احدى قممها البارزة . ويعكس اتساع النقابات العمالية (جمعية العمال العربية الفلسطينية بصورة خاصة) ، وجها واحدا من وجوه هذا التطور الموضوعي في بنية الطبقة العاملة الفلسطينية . فيما تعكس افكار وثقافات وطموحات القيادات النقابية العمالية (سامي طه خاصة) السقف العام لهذا التطور ، ومستواه السياسي والايديولوجي.

ان هذا التطور في حجم الطبقة العاملة الفلسطينية، وازدياد تاثيرها السياسي والاجتماعي في اطار التطور العام للمجتمع الفلسطيني ، كان مصدر قلق القيادات الوطنية التقليدية، وكانت القيادات النقابية العمالية الفتية تبدو ابان الحرب العالمية الثانية ، مؤهلة لتهديد الزعامات التقليدية بأفكارها العصرية والمتنورة وفي اتساع نفوذها على اطارات وقطاعات عمالية كبيرة ، بنفس الوقت الذي كانت فيه الاطارات النقابية القيادية خارجة عن نفوذ وسطوة الاحزاب التقليدية بصورة او بأخرى . وجاءت محاولة حزب الدفاع عبر سكرتيرها العام للتسرب الى الطبقة العاملة والى النقابات كتعبير عن طموح قيادة الحزب التقليدية والرجعية لامتلاك نافذة تطل منها على الطبقة العاملة وتسمح ببسط نفوذها السياسي والايديولوجي على مساحة جماهيرية اكبر حجما . كما جاء اغتيال النقابي الشيوعي ميشيل متري عام ١٩٣٩ ، واغتيال النقابي البارز سامي طه عام ١٩٤٧ ، في ذروة صعوده السياسي ، معبرا عنه بطرحه لانشاء حزب عمالي فلسطيني ، كتعبيرين عن ذعر ارسخ القيادات التقليدية الفلسطينية من ظهور مركز استقطاب سياسي وتنظيمي لقطاع جماهيري واسع ، يؤهل لسحب البساط من تحت اقدام الوجاهات والقيادات الاقطاعية ــ السياسية ــ الدينية والبرجوازية .

٢ ــ بيد ان النقابات الفلسطينية وقياداتها العمالية لم تولد سليمة من الامراض التي عرفها تاريخ الحركات العمالية قبل ــ الماركسية وبعد ــ الماركسية . وهو الامر الذي ليس منفصلا عن سمات الانتاج الصناعي العربي لحظة نشوء النقابات وتطورها ، من جهة ولا عن المناخ السياسي السائد في فلسطين والطبيعة الايديولوجية السائدة للثقافة من جهة ثانية ، ولا عن التيارات العمالية المتضاربة في الحركة العمالية في العالم المتقدم صناعيا من جهة ثالثة . فالطبقة العاملة الفلسطينية قد عرفت اول اشكال التنظيم ، عن طريق روابط اخوية بين العمال ، شأنها في ذلك شأن عمال كثير من البلدان « اللجنة الاخوية لعمال سكك حديد فلسطين ١٩٢٣ » . ونمت وتطورت بروح تعاونية ، تضامنية، عبرت عنها الجمعيات العمالية المؤسسة في فلسطين وخاصة اثناء الازمات العامة وازدياد حدة البطالة وارتفاع تكاليف المعيشة « جمعية عمال مسلخ حيفا ، جمعية متعهدي بيع الحوايا (السقط) ، جمعية عمال الخياطة ، جمعيات التموين المنزلي والتمليف والتوفير ... الخ » وقد تجلت في هذه الجمعيات او معظمها نزعات الاستقلال الانتاجي عن ارباب العمل بتملك وسائل الانتاج بصورة تعاونية بين مجموعات عمالية حرفية . ومن ذلك نلاحظ ان طابع النشاط العمالي ، النقابي ، التعاوني ، التضامني ، متأثر بسيادة الطابع الحرفي على الانتاج الصناعي العربي ، الذي يولد بالمقابل اشكالا من التنظيم العمالي ــ الاقتصادي والاجتماعي ، من ذات السمة .

ومن جهة ثانية تظهر قرارات وتوصيات ونشرات ومطالب النقابات العمالية الفلسطينية ، التي تقدمها في مؤتمراتها السنوية ، طبيعة الثقافة السائدة في صفوف العمال ، وذلك على عدة اصعدة ، التحرر الوطني ، التوسع الصهيوني ، العلاقة مع ارباب العمل ، المطالب اليومية والمباشرة للعمال ، والآفاق السياسية العامة لنضال العمال في مؤسساتهم النقابية . وان اي محاولة لاستقصاء الطابع الايديولوجي للثقافة السائدة لا